أ.د. فتحي يكن
داعية ومفكر اسلامي - لبنان

المؤلف

أثر الأمن الاجتماعي في حياة الأفراد والمؤسسات والدول

الأمن نعمة كبرى لا تفضلها نعمة .. فهوبالنسبة للانسان، أهم من الغذاء والكساء والدواء، وسائر الحاجات والضرورات البشرية .

وفي ضوء هذا يمكن أن نفهم أبعاد قول الرسول (ص): (من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عند قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[١] .

يأتي حديثنا اليوم عن الأمن - في من - اهتزت فيه كل مقوماته ومرتكزاته في العالم، وفي مرحلة تكاثرت وانتشرت فيها كل عوامل الفوضى والخوف والقلق، من حروب مدمرة، وفتن عمياء صماء بكماء تجعل الحليم حيرانا .

فسباق التسلح والتسلط .. والاستئثاربالقرارالعالمي .. وحيازة اسلحة الدمار الشامل، أذكى كل صنوف الحقد والكراهية وحب الانتقام .. فانحسرت المحبة، وسقط السلام، واهتز الأمن، وعمت الفتن والحروب أرجاء الارض كلها .

وقبل دخولي الى الموضوع، لابد من تعريف سريع لمعنى ومضمون كلمة الأمن :

- الأمن لغة : هوالاطمئنان والسكينة .. وفي المعجم الوسيط : (أمن أمنا، اطمأن ولم يخف، فهوآمن)والبلد الآمن هو البلد الذي اطمأن أهله .

- والأمن هو نقيض الخوف .. قال تعالى :«وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)[٢]

- والأمن اصطلاحا : هو الأخذ بكل الاسباب التي تضمن استقرار الدولة وأفرادها

ومؤسساتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج .

– والأمن حاجة اساسية لتقدم الانسان ورقيه ورفاهه وسعادته .. في حين أن اضطرابه وتعطله مدعاة للتخلف والتأخر والضعف والانهيار..

قال تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) (٣)

الأمن أحد تجليات الايمان

والأمن أحد أهم تجليات الايمان ولا أمن أو أمان بلا ايمان، مصداقا لقوله تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (٤)

فكل ما يتناقض مع الايمان من شأنه أن يهز الأمن ويصدعه..

– فالجحودوالكفران والظلم والطغيان،، كما العصبيات الطائفية والمذهبية والعرقية والاثنية والفئوية والعشائرية والقبلية،، جميعها عوامل اسقاط للأمن واحياء للفتنة : والفتنة أشد من القتل (البقرة ١٩١) وصدق رسول الله (ص) حيث يقول: ليس منا من دعا الى عصبية .. وليس منا من قاتل على عصبية . وليس منا من مات على عصبية.. دعوها فانها منتنة(٥).

من هنا كان التدين الصحيح السليم مدخلا لتوطين الأمن، ومدعاة لنشر المحبة، واشاعة روح التعاون بين المواطنين،، كما كانت القوانين العادلة صمام أمن الفرد والمجتمع والدولة .

الأمن كل لا يتجزأ .. فلا أمن اجتماعي من غير أمن اقتصادي .. ولا أمن اقتصادي من غير امن سياسي .. وهكذا .

– إن سوء توزيع الثروة، يؤدي الى الفقر، والفقر يؤدي الى حرب الطبقات . لأن الفقر يكاد أن يكون كفرا كما جاء في الخطاب النبوي. (وثيقة أغنياء العالم)

– وغياب العدالة السياسية من شأنه أن يهز الأمن الاجتماعي، ذلك أن العدل أساس الملك .. ولَيُتَمّنَ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله رواه البخاري رقم ١٦ ٣٤ وفي رواية : (والذئب على غنمه)

– والارهاب منشؤه القهرو الفقر، والقهريولد الانفجار .. ورفع القهر وازالته هو

الطريق الأقرب لمعالجة الارهاب .(عجبت لاناس لايخرجون بسيوفهم يسألون الأغنياء أعطوهم أومنعوهم) .

– إن فقدان المساواة، من عوامل تقويض الأمن الاجتماعي، وتحقيق المساواة علاج حاسم لما تخلفه من مخاطر وتداعيات وفي الحديث النبوي : (اخوانكم خولكم، جعلهم الله فنية تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه، وليلبسه من لباسه، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه) [٦].

مفردات ومصطلحات غريبة عن الاسلام

إن من المفردات التي أضيفت الى قاموس اللغة بدون استئذان وبلا تدقيق، والتي يمكن ان تكون قنابل موقوتة، ما يلي :

الاصولية : وهذا المصطلح لامكان له في الاسلام .. فاذا كانت الاصولية تعني الغلو والتطرف، فإن الاسلام دعوة الوسطية والاعتدال .. وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [٧] وقوله (ص): «هلك المتنطعون، قالها ثلاثا» رواه مسلم في صحيحه رقم ٢٢٧ / ج ٤ /ص ٢٠٥٥» ، وقوله :«إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»، رواه البخاري رقم ٣٩ /ج ١ /ص ٢٣ وقوله : «إن المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى» رواه البيهقي في السفن الكبرى رقم ٤٥٢٠ وقوله: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» رواه البخاري ومسلم، وقوله: «انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين رواه أحمد في مسنده رقم ٧٢٥٤ ، وقوله :«خذوا من الاعمال ما تطيقون وفي رواية : «خذوا من العبادة ما تطيقون فإن الله لايسأم حتى تسأموا» رواه الشيخان.

الارهاب : ليس من صفات الدين .. فالنبي الذي ارسل رحمة للعالمين لايمكن أن يكون ارهابيا .. ولم يكن ورود كلمة الارهاب في قوله تعالى : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[٨] إلا في موقع الدفاع عن النفس وفي حالات الحرب ليس إلا .

الالغاء : أما مصطلح الغاء الآخر، فهومصطلح مرفوض في الاسلام بالكلية .. فالاسلام يعترف بالآخر، ويدعو الى التعرف عليه والى الحوار والتعاون معه، مصداقا

لقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[٩]

العولمة : وأما العولمة التي تهدف الى الغاء خصوصيات الاخرين، وفرض ثقافة وحضارة معينة عليهم، كالحضارة الغربية أو الاميركية على وجه خاص، فإن الاسلام جاء بما يناقضها .. فالاسلام من خلال تكريمه للانسان ترك له حرية الاختيار وأبى أن يسوقه بالعصا، ويرضخه بالقوة كما يجري اليوم .. ومن مبادئه الاساسية ما يتجلى في قوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾[١٠] وقوله : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[١١]

- التطهير العرقي : كالذي حدث في عدد من دول العالم كالشيشان والبوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها . . فالحرب في الاسلام مشروطة بسلوك وأخلاق لا يجوز الخروج عليها ..

– حرب إلغاء الحضارات وحتمية بقاء الحضارة الغربية : كالتي يدعو اليها فوكوياما وغيره .

الاسلام المعدل :وهوالمصطلح الذي طرحه الرئيس الاميركي بوش بعد أحداث ١١ ايلول ثم بين يدي الحرب على أفغانستان وأخيرا العراق، والذي يهدف الى تقديم اسلام من صناعة أميركية يرتضي لأتباعه الذل والهزيمة والاستسلام) .

العالم الثالث : وهو المصطلح الذي كرس التصنيف الظالم للمجتمعات، وأغرى العداوة والبغضاء بينها .. إنه المسؤول عن بقاء ما يربو على ٨٥٠ مليون شخص في حالة بائسة من الخوف والجوع والعطش والمرض !

– **الخصخصة**: وبيع ممتلكات الدولة . وتحويل الثروات العامة الى ثروات خاصة، مما جعل نصف ثروات العالم بيد عدد من الاشخاص!! في حين جعل الاسلام الناس شركاء في الثروات الضرورية وحال دون خصخصتها، فقال الرسول (ص): الناس شركاء في ثلاث : في الماء، والكلأ، والنار) .

– العمالة والجاسوسية والارتهان لقوى خارجية فردية كانت أو جماعية، كجماعات: عباد الشيطان، وشهود يهوه، والرائيليين، وغيرهم ..

خصخصة القوانين: وتفصيلها على قياس المصلحة الخاصة وليس العليا والعامة، كقانون الانتخابات النيابية على سبيل المثال .

الاعلام غير الموجه والمضبوط: والذي تمتلكه وتجتاحه وتوجهه مدرسة تقوم على تلقين العنف والارهاب والفساد والجريمة في كل صورها وأشكالها.

السرقة المنظمة: وتتمثل بمسلسلات الفضائح : النفط + الكهرباء + الطوابع + صناديق التكافل والتعاضد.

– **الاقطاع المالي**: الذي بدأ يتحكم في الحياة السياسية، والمؤسسات الدستورية فيشتري الذمم ويلغي الجدارات، وبخاصة في الانتحابات النيابية !

– **الفساد الاداري** : الذي يهز أمن المواطن وأمن مصالحه كلها، كما أمن الدولة ومؤسساتها، والذي مرده الفساد السياسي، وغياب أي مشروع من شأنه بناء الانسان بناء سليما ومستقيما.

إن كل هذا وغيره يسهم في زعزعة الأمن الاجتماعي والسياسي، ويعمل على تقويض دعائم الاستقرار في المجتمع .. وكل معالجة للأمن لا تأخذ بعين الاعتبار هذه الاسباب والخلفيات مجتمعة، وتعمل على معالجتها وايجاد الحلول الناجعة لها، تبقى صيحة في واد ونفخة في رماد .

أخيرا ..

أي أمن يمكن أن ينعم به الناس في ظل نظام عالمي يمارس أبشع الوان الارهاب والقرصنة وحروب الابادة، مستخدماً كل صنوف اسلحة الدمار الشامل، متذرعا بمحاربة الارهاب، ونزع اسلحة الدمار الشامل، وتوطين الديمقراطية، وضمان حقوق الانسان !

إن ماتقوم به الولايات المتحدة الاميركية اليوم، يمكن أن ينسف كل مشاريع الأمن والسلام في العالم، لأن الضغط من شأنه أن يولد الانفجار ..

لقد أصبح للولايات المتحدة الاميركية قاموس من المفردات والمصطلحات التي تقوض الأمن العالمي، وقد يستحيل الوصول الى مجتمعات آمنة في ظل محاولات الاستكبار الاميركي والصهيوني .

إنه لابد من جبهة عالمية، تسقط الهيمنة الاميركية عن القرار الدولي، وتحقق التوازن، وتكرس مبادئ العدالة والحرية والمساواة بين الشعوب، وعندها يمكن أن ينعم الناس بالأمن والأمان، وقد زال الظلم والطغيان .

الهوامش:

١ – ابن حيان في صحيحه ٢ / ٤٤٢.

٢ – (النور/ ٥٥).

٣ – النور ٥٥.

٤ – (الرعد/ ٢٨).

٥ – (اخرجه ابو داوود في سننه برقم ١٢١ ٥ ج ٤ ص ٣٣٢).

٦ – رواه البخاري في صحيحه رقم ٣٤١٢ والامام أحمد في مسنده رقم ٢١٤٢٩ .

٧ – البقرة/ ١٤٣ .

٨ – الانغال ٢٠ .

٩ – الحجرات /١٣.

١٠ – البقرة/ ٢٥٢.

١١ – يونس/ ٩٩.